

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : سورة الطارق - تفسير الآيات 01 - 11

25-05-1998

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، في لَعْنَتِنَا الْيَوْمِيَّةِ نَسْتَعْمِدُ الْقَسَمَ، تقول لإنسان: والله، هذا كلام ناقص ! أين جواب الْقَسَمِ ؟ فإذا قُلْتَ: والله إني لأجيبك ! كان قولك: أجيبك جواباً للقسَم، تالله لأفعلن كذا وكذا، فما من قَسَمٍ إلا ويحتاج إلى جواب، والدليل: لو كُنْتَ في مَجْلِسٍ وقام أحدهم وقال: والله ثم والله ثم والله، ثُمَّ سَكَتَ، لما فَهَمْتَ الْمَقْصُودَ من كلامه، فَكُلَّ كَلَامٍ يَحْتَاجُ إِلَى قَسَمٍ، والآن لو طَبَّقْنَا هذه القاعدة في الْقَسَمِ على كتاب الله عز وجل، يقول الله عز وجل:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3) ﴾

[سورة الطارق]

إلى هنا لم يأت جواب الْقَسَمِ ثم قال تعالى:

﴿ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4) ﴾

[سورة الطارق]

هذا جواب الْقَسَمِ، لا يوجد إنسان فُتِنَ ولا يوجد إنسان لا يُحَاسِبُ، ولا يوجد إنسان يتحرك على مزاجه دون أن يُسأل لماذا فعلت ؟ الذي خلق الكون، وخلق هذه النجوم، المَجَرَّاتُ تقريباً مليون مليون مَجَرَّةٍ، وبالمَجَرَّةِ وَسَطِيًّا مليون مليون نجم، ولا تزال حدود الكون غير معروفة، أحدث معلومة على أبعد مَجَرَّةٍ اكْتُشِفَتْ حَتَّى الآن ؛ ثلاثمائة ألف بليون سنة ضوئية، والبلبون ألف مليون، والضوء يقطع في السنة ثلاثمائة ألف ضرب سِتِّين ضرب سِتِّين ضرب أربع وعشرون ضرب ثلاث مائة وخمسة وستون ولأنَّ الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلومتر، والله عز وجل قال:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) ﴾

[سورة الواقعة]

المسافات بينها ثم قال:

﴿ وَإِنَّهٗ لَقَسَمٌ لِّوٓتَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) ﴾

[سورة الواقعة]

إذا كنتم تعلمون ما معنى قول الله عز وجل:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) ﴾

(سورة الطارق)

تَجِدُ نَجْمَةً بَعِيدَةً مُتَالِقَةً وَبَيْضَاءَ، حَجْمُهَا سَنْتَمِتْرٌ بِالْعَيْنِ، وَهَذِهِ النَّجْمَةُ قَدْ تَتَّبَعُ لِلْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْمَسَافَةَ بَيْنَهُمَا، وَبَيْنَ الْأَرْضِ وَالشَّمْسِ مِائَةٌ وَسِتُّ وَخَمْسُونَ كِيلُومِتْرًا، وَالشَّمْسُ يَنْسُجُ جَوْفُهَا إِلَى مِليُونٍ وَثَلَاثِمِائَةِ أَرْضٍ، وَبَيْنَهُمَا مِائَةٌ وَسِتُّ وَخَمْسُونَ سَنَةً ضَوْئِيَّةً وَهَنَّاكَ نَجْمٌ يَبْدُو حَجْمُهُ وَاحِدٌ سَنْتَمِتْرٌ مُرَبَّعٌ بِالْعَيْنِ الْمُجَرَّدِ اسْمُهُ قَلْبُ الْعُقْرَبِ وَاسْمُهُ بَرْجُ الْعُقْرَبِ يَنْسُجُ لِلْأَرْضِ وَالشَّمْسِ مَعَ الْمَسَافَةَ بَيْنَهُمَا فَقَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) ﴾

[سورة الطارق]

هذا النجم:

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3) ﴾

[سورة الطارق]

يَعْنِي يَصِلُ ضَوْؤُهُ إِلَيْنَا، فَإِذَا أَشْعَلَ الْوَاحِدُ مِنْهُ الضَّوْءَ الشَّدِيدَ يُرَى إِلَى خَمْسِينَ مِتْرًا وَحَتَّى مِائَتَانِ مِتْرًا، لَكِنْ لَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَصِلَ نَنْظُرْنَا إِلَى حَلَبٍ، وَكَذَا بِحِمُصٍ، طَيِّبٌ وَضَوْءٌ يَأْتِي إِلَيْنَا مِنْ مِليَارَاتِ مِليَارَاتِ السَّنَوَاتِ الضَّوئِيَّةِ وَيَصِلُ إِلَيْنَا، لِذَلِكَ شَمْسُنَا شَمْسٌ حَمْرَاءُ فِي مِنتَصَفِ عُمْرِهَا، وَكَذَا النُّجُومُ لَهَا أَعْمَارٌ، أَمَا إِذَا تَقَدَّمَ بِهَا الْعُمْرُ يَزْدَادُ حَجْمُهَا كَثِيرًا، ثُمَّ تَنْكَمِشُ إِلَى وَاحِدٍ بِالمِائَةِ وَيَنْقَلِبُ ضَوْءُهَا إِلَى لَوْنٍ أَيْبِضٍ، وَالضَّوْءُ الْأَيْبِضُ حَرَارَتُهُ عَالِيَةٌ جَدًّا، وَبَعْدَ حِينٍ يَنْقَلِبُ ضَوْءُهَا إِلَى ضَوْءٍ أَسْوَدٍ وَيَنْعَدِمُ ضَوْءُهَا، وَهِيَ حَالَةُ التَّكْدُّسِ، وَهَذِهِ الدَّرَاتُ تَتْرَاكُمُ عَلَى بَعْضِهَا بَعْضًا، وَمِنْ شِدَّةِ الضَّغْطِ لَا يَسْمَحُ الضَّغْطُ بِخُرُوجِ الضَّوْءِ مِنْهَا، فَيَعْدُو ثَقْبًا أَسْوَدًا هِيَ مَقْبَرَةُ النُّجُومِ، وَلَوْ أَنَّ الْأَرْضَ مَرَّتْ بِجَانِبِهَا لِأَصْبَحَتْ بِحَجْمِ بَيْضَةِ فَالْشَّمْسُ تَنْتَقِلُ مِنْ طَوْرٍ أَحْمَرَ إِلَى طَوْرٍ أَيْبِضٍ إِلَى طَوْرٍ أَسْوَدٍ، فَهَذَا النُّجْمُ الثَّاقِبُ الَّذِي تَرَاهُ مِنْ بُعْدِ مِليَيْنِ وَمِليَيْنِ السَّنَوَاتِ الضَّوئِيَّةِ، الَّذِي خَلَقَ هَذَا النُّجْمَ لَنْ يَتْرَكَكَ سُدًى، وَلَنْ يَدَعَكَ تَفَعَّلَ مَا تَشَاءُ دُونَ أَنْ يُحَاسِبَكَ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3) إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4) ﴾

[سورة الطارق]

هذا هو جواب القَسَمِ، هناك ملائكة وسجّلات وشريط مُلَوَّن ناطق، وكُلّ الأعمال والحركات مُسجَّلة فيه ويوم القيامة يُقال لهذا الإنسان كما قال تعالى:

﴿ أَفْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14) ﴾

[سورة الكهف]

فالقَضِيَّةُ أن تُؤْمِنَ أن هناك حساب، وأن تُكْفِرَ بما يُسَمِّيهِ الناس العَبِيَّةَ، إذ لا عَبِيَّةَ في ديننا، ولا يوجد إنسان يأكل مال الناس ويُنْفَذُ، ولا يوجد من يَغْتَدِي على أَعْرَاضِ الناس ولا يَخْذُلُ له شيء، ولا شيء بعد الموت هذا الشيء مُسْتَحِيلٌ، ولهذا هذه السورة تُؤكِّد اليوم الآخر، قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3) إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4) ﴾

[سورة الطارق]

هناك حَفَظَةٌ ورُقَبَاءٌ وملائكة وهَيِّبَةٌ إلا أن الله عز وجل لطيف، ولا يُشْعِرُكَ أن هناك رقابة، أما لو رَأَيْتَ فلن تستطيع أن تتَحَمَّلَ، أما الله عز وجل لطيف والحبل مرخي حتى تتَوَهَّمُ أنك لست مُقَيَّدَ، وفي آيَةٍ لحظة يُشَدُّ الحبل فإذا أنت في قَبْضَةِ الله، قال تعالى

﴿ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4) ﴾

[سورة الطارق]

كُلُّ شيءٍ مُسَجَّلٌ فلو أن شَخْصاً أَبْلَغُوهُ أن هَاتِفَكَ مُرَاقِبٌ، يَغْدُ للمليون قبل أن يقول كلمة يُحَاسِبُ عليها، وإنما يَمْشِي بالطرق السَلِيمَةِ الواضِحَةِ، ولا يَنْزُكُ قَضِيَّةَ عَلَيْهَا شُبُهَةٌ، والله عز وجل يقول:

﴿ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4) ﴾

[سورة الطارق]

والدليل:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) ﴾

[سورة الطارق]

كُلٌّ وَاوَدَ له أولاد وكُلٌّ مِمَّا يَعْرِفُ سببَ خُلُقِ الولد، ومن أين أتى؟ الماء المَهِينُ، والذي خمس مائة مليون حُوَيْنٌ منوي تحتاج البِيضَةَ إلى حُوَيْنٍ وَاوَدَ، وفي اللَقَاءِ الرَّوْجِي هناك خمس مائة مليون يُفْرَزُها

الرَّجُل، وتحتاج البُوَيْضَة إلى حُوَيْنٍ واحد لا يُرى بالعين، ويدخُل البُوَيْضَة وَيَتِمُّ التَّلْقِيحُ وَيَتِمُّ الانْقِسَامُ إلى عشرة آلاف قِسْمٍ، وهي في طريقها إلى الرَّجْمِ دون أن يزداد حَجْمُها، فإذا وَصَلَتْ إلى الرَّجْمِ انْعَرَسَتْ فيه، وبدأت التَّغْدِيَّة، وبعد تِسْعَةِ أَشْهُرٍ تَجِدُهُ طِفْلاً ؛ رأس وجمجمة ودماع، ومائة وأربعين مليار خَلِيَّة استِنَادِيَّة بالدِّمَاغ، عَيْنٌ تحوي مائة ومليون عَصِيَّة ومخروط وشَمٌّ من عشرين مليون نهاية عَصِيَّة، وكُلُّ نهاية تحوي سَبْعَةَ أَهْدَابٍ، وكُلُّ هُدْبٍ له مادَّة مُخاطِيَّة، وأذن متكوَّنة من أذنٍ داخِلِيَّةٍ ووَسْطَى وخارجِيَّةٍ وصيوان، وأمور مُعَقَّدة جدًّا، وأعصاب سَمْعٍ ودَوَقٍ، وبلعوم ورتنان، وقلب، ودَسَمَات، وشريان أبهر، وشريان تاجي ودم يُضَخُّ للرِّئَة ومنها إلى القلب، ومن القلب إلى الجِسم، ومن الجِسم إلى القلب مرَّةً ثانيَّة، وكلية تحوي طريق فيه مائة كيلومتر يُمرُّ فيها الدَّمُ خمسة مرَّات ؛ كُُلُّ هذا من ماءٍ مهين، قال تعالى:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) ﴾

[سورة الطارق]

هَيْكَلٌ عَظْمِيٌّ مَتِينٌ، أَسْنَاخٌ رَوِيَّةٌ لو نُشِرَتْ لكانت مساحتها مائتان متر مربع ! وبالشَّعْرَ ثلاثمائة ألف شَعْرَة وبالشَّعْرَة شريان ووريد وعُدَّة دَهْنِيَّةٌ وصَبْغِيَّةٌ عَصَبٌ وعَضَلَةٌ، وهذه العِظام والعَضَلات والشُّحوم وغضاريف، وعُدَّة النُّخَامِيَّة وزنها نصفُ غرام تُفَرِّزُ اثني عشر هرمون، وكُلُّ هُرْمُونٍ لو تعطلَّ إفرازه لأصَبَحَتْ حياة الإنسان جحيماً والله عز وجل يقول:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (8) ﴾

[سورة الطارق]

فالذي خلقك أوَّل الخَلْقِ قَادِرٌ أن يُعيدَكَ خَلْقًا آخَرَ.

قال تعالى:

﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (9) ﴾

[سورة الطارق]

تُمنَحُنُ هذه النفوس من جَفْدٍ وحَسَدٍ وغِيْشٍ وكِبْرٍ ونيَّةِ الاغْتِصابِ والاستيلاء على أموال الناس، ونيَّةِ بناء المَجْدِ على أنقاض الآخرين ؛ كُُلُّ هذا مَكْشُوفٌ، والإنسان حينما تُكشَفُ حقيقته وَفَتْها ضعيف، قال تعالى:

﴿ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (10) ﴾

[سورة الطارق]

سورة خطيرة جداً، قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3) إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا
حَافِظٌ (4) ﴾

[سورة الطارق]

أي كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظٌ يُسَجِّلُ كُلَّ أفعالها، وطريق الإيمان بالله:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) إِنَّهُ عَلَى
رَجْعِهِ لَقَائِرٌ (8) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (9) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (10) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11) ﴾

[سورة الطارق]

العلماء فهموا هذه الآية أَنَّ الْبِحَارَ تَتَبَخَّرُ، وَالبُخَارُ يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ، وَيَعُودُ أَمْطَارًا وَحِينَمَا تَقْدَمُ الْعِلْمُ وَجَدُوا هَذِهِ الْأَمْوَاجَ الْكَهْرطِيسِيَّةَ الَّتِي تُبْتِثُ إِلَى الْفِضَاءِ الْخَارِجِيِّ لَوْلَا أَنَّهُ هُنَاكَ طَبَقَةٌ اسْمُهَا الْأَثِيرُ لَمَا عَادَتْ إِلَى الْأَرْضِ إِذْ أَنَّ هَذِهِ الطَّبَقَةُ هِيَ الَّتِي تَرِدُّ الْأَمْوَاجَ الْكَهْرطِيسِيَّةَ إِلَى الْأَرْضِ، وَلَوْلَاهَا لَمَا كَانَتْ هُنَاكَ إِذَاعَةٌ، ثُمَّ اكْتَشَفُوا أَنَّ السَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ ؛ هَذِهِ الْكَلِمَةُ تَنْتَظِمُ الْكُونَ كُلَّهُ، أَيُّ كَوْكَبٍ فِي الْفِضَاءِ يَدُورُ فِي مَسَارٍ مُغْلَقٍ، وَمَعْنَى مَسَارٍ مُغْلَقٍ أَنَّ الْكَوْكَبَ يَعُودُ إِلَى نَقْطَةِ انْتِطَاقِهِ، وَلَوْ كَانَ الْمَسَارُ غَيْرَ هَذَا لَمَا عَادَ، وَلَكِنْ لَمَا كَانَ مُغْلَقًا فَكُلَّ سَنَةٍ وَسَبْعُونَ سَنَةً يَعُودُ إِلَى مَكَانِهِ، وَهَذَا فِي كُلِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، فَالْأَرْضُ تَدُورُ حَوْلَ الشَّمْسِ وَتَعُودُ إِلَى مَكَانِ انْتِطَاقِهَا، فَقَالُوا: هَذِهِ كَلِمَةٌ جَمَعَتْ خِصَائِصَ الْكُونَ كُلِّهِ ! لَوْ أَنَّ الْكُونَ لَا يَتَحَرَّكُ بِفِعْلِ الْجاذِبِيَّةِ لِأَصْبَحَ كُنْثَلَةٌ وَاحِدَةٌ وَهَذِهِ الْحَرَكَةُ يَنْشَأُ عَنْهَا قُوَّةٌ جاذِبَةٌ تَكْفِي الْقُوَّةَ النَّابِذَةَ، لَوْ أَلْغَيْنَا الْحَرَكَةَ لَجَذَبَتْ كُلَّ الْكَوَاكِبِ بَعْضُهَا بَعْضًا حَتَّى تَجْتَمِعَ فِي كُنْثَلَةٍ وَاحِدَةٍ وَلا تَنْتَهَى الْكُونَ، فَهَذِهِ الْحَرَكَةُ فِيهَا بَرَكَةٌ، وَهَذِهِ الْحَرَكَةُ يَنْشَأُ عَنْهَا قُوَّةٌ، قَالَ تَعَالَى: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ، وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ.. " يَخْرُجُ مِنْهَا النِّبَاتُ:

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (13) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (14) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) ﴾

[سورة الطارق]

قال تعالى:

﴿ وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (54) ﴾

[سورة آل عمران]

وقال تعالى:

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46) ﴾

[سورة إبراهيم]

أعداء الدّين يمكّرون لكنّ الله يُدبّرُ تدبّيراً برُدُّ عليهم، قال تعالى:

﴿فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا (17)﴾

[سورة الطارق]

هذا تهديد، أي سوف يلقى هؤلاء حساباً عسيراً، وعذاباً أليماً.